النبي الأكرم(ص) "كان خلقه القرآن"

حجة الإسلام ڈاکٹر ساجد علی سبحانی [1]

dr.sajidsubhani@yahoo.co

كلمات مفتاحية: الخلق، النفس، الفضائل، الرذائل، قرآن عملي، الهوية الخلقية، القائد الاسلامي، المبلغ الديني-

تلخيص:

الخلق يتعلق بأعظم جزء الانسان وهو الروح أو النفس. الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الافعال الخلقية بسهولة ويسر، لا بندرة وتكلف- والأخلاق إمّا حسنة تسمى بالفضائل وإمّا قبيحة تسمى بالرذائل، وان كانت كلمة الخلق أو الاخلاق تنصرف إلى الحسنة اذا أطلقت. كفى عظمة للخلق أنه حينما أراد الله تعالى أن يثني النبيّ الكريم(ص) فلم يثن على علمه أو شجاعته أو زهده وغير ذلك من الكمالات الروحية والبدنية، بل أثنى على خلقه فقال: "وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ" بأسلوب التاكيد.

وهذا في الحقيقة شهادة من الله تعالى بأن حياة النبي(ص) كلها عبارة عن الاخلاق وكان الرسول الكريم(ص) قرآنا عمليا تجسمت فيه تعاليم القرآن. فهو قدوة وأسوة للمسلم في جميع مجالات الحياة في كل موضوع وزمان. و استطاع النبي الكريم(ص) بمكارم أخلاقه أن يحدث تحوّلا عظيما في المجتمع الانساني- ذاك الوقت- و أخرجه من الضلالة و الظلمة و الشرك إلى النور و الهدى و التوحيد- يستمر الاهتداء بخلقه العظيم في كل عصر-

تظهر عظمة الخلق بأنه من أسباب رقي فرد و ملة و مجتمع- الأمم اذا تلبست بالأخلاق، فبامكانها أن تفتح قلوب الناس و البلاد- و اذا ذهبت أخلاقهم فتذهب و تفنى و تندثر كما شهدت بذلك حكومة المسلمين على الأندلس ثم زوالها بزوال أخلاق المسلمين خاصة حكامهم- و تشهد بذلك حال الأمة المسلمة في العصر الحاضر- إن من أسباب ضعف و اضمحلال الامة المسلمة ضعف الهوية الخلقية- فتحتاج الأمة إلى دراسة الاخلاق المحمدية الحميدة و التخلق بها-

قد ألقى القرآن الكريم الضوء على مكارم أخلاق الرسول الأعظم(ص) و كشف القناع عن نواحيه المتنوعة. و قد جمعت في هذه المقالة المتواضعة ايات متعددة من عشر سور، التي تحدث عن بعض جزئيات أخلاقه الكريمة مثل الصبر و العفو و العبادة و غير ذلك-

تمهيد

اوّلا- إن الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر، و روح أي نفس مدركة بالبصيرة. الجسد من الطين و الروح من أمر الرب، فالجسد خلق و الروح أمر، و الخلق يقبل التدريج بخلاف الامر "قال الله: وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (

1- مدير و أستاد جامعة الرضا، بارہ کہو، اسلام آباد- أستاد جامعة المصطفى العالمية، اسلام آباد-

1) و الجانب الروحانيي اعظم قدرا من الجانب الجسدي، قال الله تعالى: إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ○فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ. (2)

متطلبات الجسدعبارة عن الماء والهواء والغذاء واللباس و المكان وغيرذلك من الامور المادية ولكن النفس أو الروح فمتطلباتها امور غير مادية من العلم والحكمة والتربية والعمل الصالح وغيرها.

ثانيا. يعبّرعن الجانب المادي للانسان بـ"الخلق" بفتح الخاء وسكون اللام وأما الجانب الباطنيي الروحانيي فيعبرعنه بـ"الخلق" بضم الخاء وسكون اللام أوضمها ويجمع على أخلاق. والخلق عبارة عن الطبع والسجية واصطلاحا فقد عرّف بتعاريف عديدة:

قال الامام الغزاليي: " . . . فالخلق عبارة عن هيئةفي النفس راسخة، عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر من غيرحاجةإلى فكر و روية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدرعنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا، سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر عنها الافعال القبيحة، سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا. وانما قلنا إنهاهيئة راسخة؟ لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة، لايقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ. وإنما اشترطنامنه الافعال بسهولة من غير روية؟ لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد و روية، لايقال خلقه السخاء والعلم''''" (3)

وقال العلامة الفيلسوف الطباطبائي عن تعريف الخلق:

"----الخلق هوالملكة النفسانية التيي تصدرعنها الافعال بسهولة وينقسم إلى الفضيلة وهيي الممدوحة كالعفة والنشجاعة، و الرذيلة وهيي المذمومة كالشرة(الحرص) والجبن، لكنه إذا اطلق فهم منه الخلق الحسن''''". (4)

ثالثا. الاخلاق من أهداف الاديان السماوية، وأمادين الاسلام، فيتضمن الأخلاق مضافا إلى العقائد والعبادات والمعاملات. اهتم الإسلام قرانا وسنة بالجانب الخلقيي للانسان اهتماما بالغاحتى جعل إصلاحه من أهداف بعثة النبي الأكرم. وقد كرّر هذا المضمون أربع مرات فيي سور البقرة وآل عمران والجمعة، فقال. عزوجل.

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ(5)

"----فتزكيته لهم تنميته لهم نماء صالحا بتعويدهم الأخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة، فيكملون بذلك فيي انسانيتهم، فيستقيم حالهم في دنياهم و آخرتهم، يعيشون سعداء ويموتون سعداء. . .". (6)

والنبي الاكرم نفسه قدصرّح بأن إتمام الاخلاق غاية بعثته و رسالته حيث قال "إنمابعثت لأتمم مكارم الاخلاق". (7) وما رواه الامام أحمد فهوقول النبي(ص): إنمابعثت لأتمم صالح الأخلاق. (8)

و أما على ما روى المحدث الكبير الشيخ الطوسيي، فمن الامام علي بن ابي طالب(ع) قال سمعت النبي(ص) يقول: "بعثت بمكارم الأخلاق ومحاسنها"(9)

قد عقد الشيخ الكلينيي بابا مستقلا معنونا بـ"باب حسن الخلق" وأورد فيه ثمانية عشر حديثا. منها ما قال فيه رسول الله(ص): مايوضع فيي ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق. (10)

نظر إلى أهمية الاخلاق عند الله عزوجل فحينما أراد أن يثني نبيه الكريم، فلم يثن على علمه، أو شجاعته، أو زهده و غير ذلك من الكمالات الروحية والجسمية، بل أثنى على خلقه مؤكدا بتاكيدين: إن واللام المزحلقة و قال: وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (11)

والمعنى أنك- ايها النبى الكريم- مستقر على اخلاق عظمية ولايوجد فيي تصرفاتك السلوكية شيىء غير الخلق. فهذا فى الحقيقة شهادة من الله سبحانه بأن حياة النبى الاكرم كلها عبارة عن الاخلاق فما أمربه فى القرآن، امتثله وكل مانهاه عنه انزجرعنه، فكان (ص) قرانا عمليا تجسمت فيه تعاليم القرآن. من ثم أفصحه الله تعالى عن كونه أسوة وقدوة للناس إلى يوم القيامة فى جميع مجالات الحياة: تعليما، وعبادة، وصلحا اوحربا، وانفرادا أو اجتماعا، وقائدا أو عضوا لعائلة. فقال عزوجل:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا (12)

والمستفاد من الاية كونه أسوة وقدوة على الاطلاق فيي كل موضوع وفى كل زمان. ومن العجيب أنه تجلى فى شخصية النبى الأكرم القرآن الكريم، لم يفترق فى جميع تصرفاته السلوكية عن الوحيي الالهيي قطّ. وبهذا السبب عندما سئلت ام المومنين عائشة . رضى الله تعالى عنها. عن أخلاق النبىّ فأجابت: فان خلق رسول الله كان القرآن. (13)

رابعا. إن من أسباب رقيي فرد أو ملة ومجتمع حسن أخلاقها والقيم الاخلاقية الحاكمة عليها. التاريخ خير شاهد على أن خلود شخصية فرد، وبقاء واستمرار أمة ودولة وتقدم حضارة، كل هذا مرهون بالفضائل الاخلاقية وبالعكس الاضمحلال، والاندثار والفناء والتقهقر كل هذا مسبب عن فقد الفضائل الاخلاقية. فكيف استطاع النبى الاكرم أن يبدل الوضع السيىء، للمجتمع- ذاك الوقت- من الضلالة والشرك والحيوانية والجهالة إلى الهدى والتوحيد والانسانية و الحكمة حتى وصل مقاما رفيعا سماه الله تعالى- خيرامة." وقال:

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ(14)

فهذا التحول العظيم لم يكن بإعجاز منه(ص) وان كان ذا قوة اعجاز قد صدرت على يديه مئات المعجزات، بل بأسباب منها شخصية النبى المحمودة ذات الأخلاق الكريمة الرفيعة كما قال الله عزّوجلّ: وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ. . .(15)

هذه الحقيقة لاينكرها إلا مكابر بل صدقها الحكماء والشعراء. قال الامام على(ع):

ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمال جمال العلم والادب

المعنى أن الانسان يتزين، يتجمل لا باللباس وغير ذلك من التزينات بل هويتزين اذا كان واجداً للعلم والخلق. العلم والخلق جناحا التقدم.

قال الشاعر الحكيم المتنبي:

وما الحسن فى وجه الفتى شرفاله اذالم يكن فى فعله والخلائق

المعنى أن الحسن الظاهرى ليس شرفا للانسان بل الشرف الواقعيي الحسن فى الافعال و الاخلاق.

وصدق شاعر الاخلاق، امير الشعراء احمد شوقيي:

إنما الأمم الأخلاق مابقيت فإن هموذهبت أخلاقهم ذهبوا

صلاح أُمرك للأخلاق مرجعه فقوّم النفس بالأخلاق تستقم

اذا أصيب القوم فى اخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا

فهذا الشاعر العظيم يقول بذهاب و فناء القوم عندما ذهبت اخلاقهم "فان ذهبت اخلاقهم ذهبوا" والتجربة أصدق شاهدٍ على هذه الفكرة.

ينبعث هناك سؤال بأنه لما ذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟ أجاب الشاعر منه بأن من أعظم اسباب تأخر المسلمين فساد الاخلاق. فتح المسلمون البلاد بأخلاقهم حتى فتحوا الأندلس. استمرت حكومة المسلمين على الأندلس قائمة لمبادئ الإسلام من العدل و ترفيه وخدمة الرعية. قد أتيحت الفرصة للمسلمين لأن يحكموا الأندلس حواليى ثمانمائة (800) سنة بداية من عام ثنتين وتسعين(92ه المعادل711م) إلى عام ثمانمائة وسبع وتسعين (897ه المعادل1492م) ولكن ما استطاع المسلمون- لاسيماحكامهم- أن يحفظوا أنفسهم من سنة الهية وهى:

إِنَّ اللّهَ لاَيُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ (16)

فإذتغيرت عادات واطوار المسلمين من الدعوة إلى الله مع وحدة الكلمة، و تعليم الدين للناس، والالتزام بمبأدى الإ سلام والد فاع عن الارض الاسلامية إلى الغناء، والترف واللهو، و الموشحات (17) وشرب الخمور والمسكرات. وبهذ السبب فقد المسلمون الفاتحون الأندلس وخرجوا منها مغلوبين مطرودين وسقطت الندلس بيد الإفرنج. وانتهت بذلك الخلافة الاسلامية فى شبه الجزيرة الأيبرية.

ونفس هذا الوضع نشاهده للمسلمين فى العصر الحاضر. فهم- أكثرهم- محكومون للآخرين بسبب الانحراف عن الدين و الفساد الخلقى وتفريق الكلمة. فما دامت الامة المسلمة تبقى على هذا الوضع السيىء الأ خلاقى، ولايصلح حالها خلقا وعقيدة وعملا، فلاتتوقع التخلص من الاضمحلال والمحكومية.

بعد تحرير الأمور التمهيدية، نتشرف بذكر عدة آيات مبارکة التى تكشف القناع عن بعض جزئيات الأخلاق المحمدية الحميدة حتى يتبين أن خلقه(ص) كان القرآن كما روي عن أم المومنين عائشة(رض). (18)

1. سورة آل عمران، قال الله عزوجل:

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (19)

تفسير الاية: و اذكان حال المومنين فى غزوة أحد من التشبه بالذين كفروا و التحسر على قتلاهم، فبرحمة منا- أيها النبيى- كنت ليّنا لهم، رفيقا بهم. و لو كنت، سيىء الخلق، قاسيى القلب لتفرق أصحابك من حولك، فلاتؤاخذهم بما كان منهم "فى أحد" و اسأل الله أن يغفر لهم و شاورهم فى الامور التى تحتاج إلى مشورة ليكون ذلك امضاء ليسرتك. أما اذا عزمت على أمر بعد الاستشارة، فامضه معتمدا على الله وحده و توكل عليه، ان الله يحب المعتمدين عليه (20)

و "فى هذه الاية دلالة على تخصيص نبينا بمكارم الأخلاق ومحاسن الخصال" (21)

نكات أخلاقية فى الاية:

1) الاية تعطينا درس العفو ممن أساء الينا اذا كانت الإساءة متوجهة إلى شخصنا لا إلى المجتمع ولا إذا كانت يلزم منها إضاعة حق لاحدٍ.

2) الاستشارة ممن يليق بها، يقال: ماخاب من استشار.

3) التوكل والاعتماد على الله- عزوجل- بعد الاستشارة والعزم .

2. سورة الانعام، قال الله تعالى:

قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ. (22)

تفسير الاية: لاشك ان النبى الأكرم(ص) كانت شخصيته واجدة لجميع دواعي الترفع والعلومن العلم والشجاعة والحكمة والعدالة والحكمة و الجمال وغيرها وكان أيضاً صاحب ولاية تكوينية وإعجاز وكان يخبرعن الغيب، فكان من الممكن أن يدعي أية دعوى عالية حتى الألوهية - معاذالله- ولكن لم يدع إلا أنه رسول من الله إلى الناس لهدايتهم، فلم يظهر ترفعه وعلوه على أحدٍ.

فأخذ الكفار يقترحون عليه أن يأتي بالمعجزات واعترضوا بماكان ياتي به من أعمال متعارفة بشرية من الأكل والشرب والمشي. فقال الله: قل. يأيها النبي- للمشركين: لم أدع فيما أدعوكم اليه أني أملك خزائن الألوهية حتى تقترحوا علىّ أن أفجّر أنهارا أو أخلق جنة أو بيتا من زخرف، ولا ادعيت أني أعلم الغيب حتى أجيب عن كل ماهو مستور تحت أستار الغيوب كقيام الساعة، ولا ادعيت أني ملك تعيبوني و تبطلو قولي بأكل الطعام والمشي في الأسواق للكسب، بل إلى الله يوحي إليّ بما يوحى، فأدعوكم إلى دين التوحيد. (23)

نكات أخلاقية في الاية:

1. أن يجتنب الانسان عن التصنع والتكلف ويبقى على الحقيقة والواقعية كما هي، بل عليه أن يظهرها للآخرين. ولا يكتمها.
2. عليه أن لا يترفع على الآخرين، و ان كان على مقام و منصب رفيع. نعم، يعتبر في الامر اللزومي كلا العلوّ و الاستعلاء كما حقق في علم الأصول. (24)
3. الانسان إذا كان ذا منصب فلا عيب له بالافعال العادية البشرية من السعي لكسب الحلال و الاجتماع مع الآخرين بدون أيّ تشخص.

3- سورة الاعراف، قال الله:

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (25)

تفسير الاية : أخذ العفو عبارة عن التستر على إساءة من أساء إليه، والاغماض عن حق الانتقام الذي يعطيه العقل الاجتماعي. واما تضيع حق الغير بالاساءة اليه فليس بما يسوغ فيه العفو شرعا وعقلا وقانونا اجتماعيا.

فالمراد بقوله: "خذالعفو" هوالستر بالعفو فيما يرجع إلى شخصه(ص) وعلى هذا كان(ص) يسير فإنه(ص) لم ينتقم من أحدٍ لنفسه قطّ قالت عائشة(رض): ماانتقم رسول الله لنفسه فى شيىء يوتى اليه حتى ينتهك من حرمات الله فينتقم لله. (26) "و أعرض عن الجاهلين" أى أعرض عنهم عندقيام الحجة عليهم واليأس من قبولهم، ولا تقابلهم بالجهل والسفه صيانة لقدرك. (27)

نكات أخلاقية فى الاية:

1) الالتزام بالعفو، وعدم الانتقام الشخصى ممن أساء إلينا.
2) الأمر بالمعروف والفعل الحسن.
3) الإعراض عن الجاهلين ان ارتكبوا فعلا سفهيا وعدم مقابلتهم بالجهل.

4- سورة التوبه، قال الله تعالى:

وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ رَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ (28)

تفسيرالاية: من المومنين - وهم فى الحقيقة المنافقون- يوذون النبى بقولهم "هوأذن" أى يسمع إلى ما يقال له ويصغى اليه ويقبله بلا تفريق بين القائلين، كأن هذا العمل كان عيبا فى شخصيته. فردّ القرآن و أجاب بأنه(ص) أذن و لكن اذن خير لكم. فكونه(ص) أذنا أصلح لكم، لأنه يقبل عذركم، و يستمع إليكم. ولولم يقبل عذركم لكان شرا لكم. فكيف تعيبونه بما هو أصلح لكم؟ هو رحمة للمومنين لانهم انما نالوا الايمان بهدايته و دعائه اياهم. (29)

نكات اخلاقية فى الاية:

1. تعييب النبى(ص) بأيّ عيب خلقى وخُلقى إيذائه. ومن آذى النبى(ص) لعنه الله تعالى، قال عزوجل: وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (30)
2. القائد الاسلامى يلزمه كونه أذن خير لجميع ألاعضاء، فيستمع إلى مقالة كل قائل و لكن العمل على ما هو صادق واقعا.
3. الخلق لا ينحصر فى الصدق والعفو والايثار بل له مجالات: الخلق مع الله والخلق مع النبى، والخلق مع العائلة. و. . . . فالله عزوجل قد قرّر أخلاقا و آدابا للمسلمين مع النبى(ص) و منها أن يجتنبوا من قول و فعل يوذى حبيب الله تعالى.

5- سورة النحل، قال الله تعالى:

وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (31)

تفسيرالاية: واصبر- أيها النبيى- فيما تبلغه من الرسالة، لأن تبليغ الرسالة إلى المشركين كان امرا صعبا مليئا بالإيذاءات منهم المتنوعة. "وماصبرك الابالله" أي بتوفيقه وتسييره وترغيبه فيه. ولاتحزن على المشركين فى إعراضهم عنك، فانه يكون الظفر والنصرة لك عليهم. "ولاتك فى ضيق مما يمكرون" أى لايكن صدرك فى ضيق من مكرهم بك وبأصحابك، فان الله يردّ كيدهم فى نحورهم. (32)

نکات اخلاقیة:

1) مهمة تبلیغ الرسالة إلی الناس صعبة محفوفة بالمشاکل والإیذاءات. فالمبلغ الدینی لابد أن یهیئ نفسه لمواجهة المشاکل والإیذات بالصبر والاستقامة والحکمة، الصبر مفتاح الظفر و النصرة.

2) الصبر قبال المشاکل والایذاءات وکید المخالفین یتیسّر بتوفیق من الله والدعاء منه. عزوجل.

3) المبلغ الدینی لایأس فی أداء هذه المهمة بالمشاکل والایذاء ات، بل فی النهایة هویظفر وینتصر.

4) المبلغ الدینی لا یعتمد علی الأمور والإ مکانیات المادیة بل یعتمد علی النصرة الغیبیة من الله سبحانه.

5) المبلغ الدینی- بالمعنی الحقیقی- الظفر النهائی یکون له، کما کان النبی الاکرم(ص) قد ظفر فی مهمة التبلیغ والدعوة.

6- سورة الکهف، قال الله تعالی:

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (33)

تفسیر الایة "باخع" أی مهلك وقاتل نفسك علی آثار قومك الذین قالوا لن نومن لك حتی تفجر لنامن الارض ینبوعا- وذالك تمردا منهم علی ربهم "ان لم یومنوا بهذا الحدیث" أی القرآن، "اسفا" أی حزنا و تلهفا. (34) و المعنی" یرجی منك أن تهلك نفسك بعد اعراضهم عن القرآن وانصرافهم عنك من شدة الحزن" (35)

نکات اخلاقیة فی الایة:

1. القائد الدینیّ یکون مخلصا فی عمله یثقل علیه إعراض الناس عن الحق وهویتألم به.
2. الإعراض عن القرآن الکریم لایجوز ولا یتحمل عندالله و رسوله. الإعراض عن القرآن یلازم الضلالة والشقاوة والهلاك فی الدنیا والاخرة. و أما الالتزام والتمسك بالقرآن فهویلازم السعادة والفوز فی الدارین.
3. القائد الدینی یکون محور فعّالیات ونشاطاته القرآن الکریم: تعلیمه وتلاوته، ونشر تعالیمه فی المجتمع.

7. سورة الکهف، قال الله تعالی:

فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ○ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ○ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا (36)

تفسیر الایة: هذه الایة من الایات التی تذکر قصة أصحاب الکهف التی أشارت الیهود علی قریش أن تسأل النبی(ص) وتختبر بها صدقه فی دعوی النبوة. " و المعنی واذا کان ربك أعلم وقد أنباك نبأهم فلاتحاجهم فی الفتیة أي أصحاب الکهف إلامحاجة ظاهرة غیر متعمق فیها، أو محاجة ذاهبة لحجتهم، ولاتطلب الفتیافی الفتیة من أحدٍ منهم، فربك حسبك" (37)

قال العلامة الطباطبائی:

"الاية الكريمة سواء كان الخطاب فيها للنبى خاصة أوله ولغيره، متعرضة للامر الذى يراه الانسان فعلا لنفسه ويخبر بوقوعه منه فى مستقبل الزمان. . . والذى يراه القرآن فى تعليمه الالهيى أن ما فى الوجود من شيئ ذاتا كان أو فعلا و أثرا فإنما هو مملوك لله وحده أن يفعل فيه مايشاء ويحكم فيه مايريد، لا معقب لحكمه- وقد تكاثرت الايات الدالة على أن كل عمل من كل عامل موقوف على اذنه تعالى. و اذا عزم على فعل أن يعزم متوكلا على الله و اذا وعده بشيء أو أخبر عما يفعله، أن يقيده باذن الله او بعدم مشيته خلافه (38)

نكات اخلاقية فى الاية:

1) اذا أراد المسلم أن يفعل شيئا فى المستقبل أوا لوعد مع الآخر، فعليه أن يعلقه على مشية الله ويقول "اِن شاء الله" وعليه السيرة النبوية المقدسة كما فى حديث عتبان بن مالك. رض. عندما قال لهﷺ: وددت يا رسول الله إنك تاتين فى بيتى فأتخذه مصلى . . .فقال له رسول الله سأفعل إن شاء الله تعالى. . . . (39) وعليه سيرة الانبياء العظام، قال موسىؑ: سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ صَابِرًا "(40) وقال سيدنا اسماعيلؑ: سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (41) وهذا مقتضى خلق الانسان مع الله.

2) اذا كانت هناك حاجة للجدال و المراء فأن يكون بلين و سهولة و أن يكون ظاهرا مفيدا للعلم و اليقين.

8. سورة طه، قال الله تعالى:

طهO مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىO إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى (42)

تفسير الاية: "طه" اسم من أسماء النبيﷺ فبهذا الاسم قد نادى الله حبيبه فقال، والمعنى ما أنزلنا عليك- يا محمدﷺ- القرآن لتشقى به اى تتعب نفسك فى سبيل تبليغه بالتكلف فى حمل الناس عليه. قال الامام ابن كثير:

"ما أنزل الله القرآن على رسوله. قام به هو أصحابه فقال المشركون من قريش: ما انزل القرآن على محمد الا يشقى فانزل الله: طه ما أنزلنا عليك القرآن تشقى الا تذكرة لمن يخشى اى لا، والله ما جعله شقاء ولكن جعله رحمة ونورا و دليلا إلى الجنة. (43)

نكات اخلاقية فى الاية:

1. بين الله تعالى ان النبى الاكرمﷺ قدوة للناس فى العبادة كما فى سائر المجالات.
2. القرآن موعظة وتذكرة لمن فى قلبه خشية من الله. فعلى المسلم أن يتخذه موعظة وتذكرة حياته.
3. من باب الخلق مع النبىﷺ على المسلم أى يراعيى وقت النداء عظمة مقام خاتم النبين(ص) و لاينا ديه كما ينادي الآخرين. كفى عظمة للنبى الأكرمﷺ أن الله لم ينادِه باسمه فى القرآن كما نادى سائر الانبياء العظام بأسمائهم، فقال مثلاً يا آدم، يا نوح.

9. سورة طه، فقال الله تعالى :

فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىO وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىO وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (44)

تفسير الاية: يقول الله عزوجل فى هذه الكريمة بأنه إذا كان من قضاء الله أن يؤجزعذابهم ولا يعاجلهم بالانتقام على مايقولون، فلايبقى لك- أيها النبيى- إلا أن تصبر راضيا على ماقضاه الله تعالى من الأمر وتنزهه عما يقولونه من كلمة الشرك ويواجهونك به من السوء وتحمده على ماتواجهه من آثار قضآئه، فليس الا لجميل. فاصبرعلى مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل لعلك ترضى بالشفاعة والدرجة الرفيعة.

ثم يقول الله سبحانه .: لا تطل- أيها النبى- النظر إلى زينة الحياة الدنيا وبهجتها التى متعنا بها أصنافا أو ازواجا معدودة منهم، لنمتحنهم فيما متعنابه، والذي سيرزقك ربّك فى الاخرة خيروأبقى.

ويقول: وأمر- أيهاالنبى- أهلك أى أهل بيتك وأهل دينك بالصلاة واصطبرعليها أى واصبرعلى فعلها وعلى أمرهم بها. لانسائك رزقا"- أيها النبى- لخلقنا ولانفسك، بل كلّفناك للعبادة واداء الرسالة، وضمنا رزق جميع العباد.

نرزقك اى نرزق جميع الخلق ولانسترزقهم. والعاقبة المحمودة لاهل التقوىٰ. (45)

نكات أخلاقية فى الاية:

1. الاية تأمر الذين يبلغون رسالات الله بالصبرفى هذا الطريق، على عدم قبول قولهم والايذاءات من المتمردين.
2. الاية لاتأمربالصبرفقط بل بالتسبيح والذكر والعبادة.
3. الاية تنهى عن الطمع فى أسباب زينة الدنيا.
4. رزق الاخرة خيروبقى.
5. يبدأ المبلغ الدينى عملية التبليغ بأهل بيته ومن يتعلق به، فيأمرهم بالمعروف ثم الآخرين.
6. الذين يشتغلون بنشاطات دينية فى المجتمع لايتوقعوا الرزق من أهل الدنيا بل يتوقعونه من الله سبحانه، هوقد ضمنه لهم.
7. وعدالله المتقين بأن لهم حسن العاقبة.

10. **سورة للشعراء، قال الله تعالى:**

وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ۝ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ۝ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ۝ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ۝ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (46)

تفسير الاية: نهى الله عزوجل فى هذه الايات نبيّه(ص). عن الشرك ثم قال أنذر- أيها النبيى- عشيرتك وقرابتك الأقربين من المؤمنين الذين اتبعوك، فاجمعهم إليك بالرأفة واشتغل بهم بالتربية وان عصوك فتبرأ من عملهم وليس لك من أمر طاعتهم ومعصيتهم شيء وراء ما كلفناك، فكل ما وراء ذلك إلى الله سبحانه، وتوكل فى أمر المتبعين والعاصين جميعا إلى الله فهوالعزيز الرحيم، يعمل بسنته أي يأخذ العاصين وينجيى المومنين. (47)

نكات اخلاقية فى الاية:

1) تنهانا هذه الاية عن الشرك بجميع اقسامه.

2) "لااستثناء فى الدعوة الدينية ولامداهنة كماهو معهود فى السنن الملوكية، فلا فرق فى تعلق الانذار بين النبى و أمته، لابين الاقارب والأجانب، فالجميع عبيد، الله مولهم". (48)

3) تؤكد الاية للقيادة الاسلامية بالرأفة والرحمة ممن يتبع الدين.

4) تأمر الاية بالتوكل على الله. سبحانه. خاصة فى عملية التبليغ الدينى.

11. سورة الانبياء، قال الله تعالى:

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (49)

تفسير الاية: أسلوب هذه الاية- بلاغيا- من نوع قصر الموصوف على الصفة أي إنك - أيها النبى- أرسلت رحمة و رأفة فقط. فمانرى فى حياة النبى(ص) إلاجانب الرحمة والرأفة. وهذا ما يستفاد أيضا من حمل المصدر على الذات كما فى قولك زيد عدل أي تجسم فيه وصف العدالة كأنه عين عدل، فكذلك هو(ص) رحمة أي تجسمت فيه وصف الرحمة كأنه. ص. عين الرحمة. وكون النبى(ص) رحمة لايختص بقوم دون قوم وبزمان دون زمان وبقطر دون قطر، بل هو رحمة للعالمين، كما أن الله ربّ العالمين فرسوله رحمة للعالمين.

ولذاكان النبى(ص) رحمته شاملة للحيوانات والكفار والمنافقين مضافا إلى المؤمنين- أما المومنون فكان رحيما كثير الرحمة بهم، قال تعالى:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (50)

والمعنى: لقدجاء كم -أيها المومنون- رسول من قومكم، يشق عليه ماتلقون من المكروه و العنت، حريص على إيمانكم وصلاح شأنكم، وهوبالمومنين كثير الرأفة والرحمة.

كان النبى. ص. يحزن ويحسر لعدم قبول الناس دعوة التوحيد، وبالتالى مصيرهم إلى جهنم، قال عزوجل:

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (51)

فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (52)

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (53)

ويمكن تفسير كونه(ص) رحمة للعالمين، بأنه(ص) رحمة تكوينية و رحمة تشريعية.

أما كونه(ص) رحمة تكوينية للعالمين، فبسبب أنه أول مخلوق ولولاه لما خلق الله الأفلاك.

و أما كونه(ص) رحمة تشريعية فباعتبار أن ما جاء به إلى الناس من الدين هوذريعة سعادة دينا هم وأخراهم.

فالمومنون المتبعون له(ص) فرحمته تشملهم. ومن ثم ميّز الله تعالى أمة حبيبه من بين الأمم بكونها أمة مرحومة" وقال(ص): أمتي هذه امته مرحومة ليس عليها عذاب فى الاخرة عذابها فى الدنيا: الفتن والزلازل والقتل" (54)

نكات اخلاقيه فى الاية:

1. الرسول الأكرم بعثه الله رحمة لما سواه.
2. الاسلام دين الرحمة والرأفة.
3. الرسول الاعظم وسيلة الرحمة للمخلوقات.

12. سورة القلم، قال الله تعالى:

وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ(55)

تفسير الاية: قال المفسر سيد قطب فى تفسير هذه الاية الكريمة ما ملخصه: يعجز كل قلم، ويعجز كل تصور، عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود، وهيى شهادة من الله، فى ميزان الله، لعبد الله، يقول له فيها "انك لعلى خلق عظيم" ولقد رويت عن عظمة خلقه فى السيرة، وعلى لسان أصحابه روايات كثيرة، وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روي عنه. ثم إن لهذه اللفتة دلالتها على تمجيد العنصر الأخلاقيى فى ميزان الله وأصالة هذا العنصر فى الحقيقة الاسلامية كأصالة الحقيقة المحمديه: تقوم عليه أصولها التشريعية واصولها التهذيبيته على السواء.

تقوم سيرة محمد(ص) الشخصية مثالا حيا وصفحة نقية، وصورة رفيعة، تستحق من الله أن يقول عنها فى كتابه الخالد "وانك لعلى خلق عظيم" وقد تمثلت الاخلاقية الاسلامية بكمالها وجمالها وتوازنها وإستقامتها واطرادها وثباتها فى محمد.ص. وتمثلت فى ثناء الله العظيم، وقوله ،" وانك لعلى خلق عظيم". (56)

نكات اخلاقية فى الاية:

1. هذه الاية تؤكد على لزوم تعظيم و تجليل مقام النبى(ص)
2. قد أمضى الله تعالى جميع التصرفات السلوكية للنبيى(ص) فى حياته معيارا خلقيا للمسلمين فى جميع المجالات.

اللهم بنبيك حوّل حال الأمة المسلمة المرحومة إلى أحسن الحال: الأمن والسلام، ووحدة الكلمة، والإصلاح، وحفظ النفوس والأعراض ورعاية سائر القيم الاخلاقية. والاجتناب والتحرز عن الرذائل، فرديا وجماعيا ودوليا وإقليميا.

*****

الهوامش والمراجع

1- القمر:50

2- ص: 71-72

3- الامام الغزالي: إحياء علوم الدين، مكتبة كرياطه فوترا، سمارانغ. اندونيسيا. ج:3، ص:52

4- العلامة محمدحسين طباطبائی، الميزان فی تفسيرالقرآن، دارالكتب الاسلامية، تهران، ج: 20، ص: 27

5- الجمعة: 2

6- الميزان فی تفسيرالقرآن، ج: 19، ص: 306

7- بيهقی، احمد بن حسين، السنن الكبری، بيروت، دارالكتب العلمية، ط3، ج: 19، ص: 323

8- مسند الامام أحمد بن حنبل، دارلفكر، بيروت ط3 : ج: 2م: 8991

9- الشيخ الطوسی، محمد بن حسن، الأماليی، مؤسة بعثت، قم، ط: 1، ص: 596

10- الكلينی: محمد بن يعقوب، أصول الكافی، دارالاضواء بيروت لبنان ج: 2، كتاب الايمان والكفر، باب حسن الخلق، ح: 2

11- القلم: 4

12- الاحزاب: 21

13- مسند الامام احمد، ج: 5، ح: 244323

14- آل عمران: 110

15- آل عمران: 158

16- الرعد: 11

17- نمط من الشعر نشأفی الأندلس وذاع فيها، حافظ على العروض العربی إجمالاً، وخرج إلى أعاريض جيدة أحيانا، ولكنه فی كلتا الحالتين نهج فی التأليف نهجا جديدا قائما على المبالغة فی الرقة والموسيقی والسهولة، فيی هيكل من العقيدة يختلف عن هئية العقيدة العربية وسميی كذلك لأنه يشبه الوشاح أی حلی المرئة، بأشكاله وتطاريزه واكثر ما ينتهی عندهم إلى سبعة أبيات. (www.almaany.com)

18- الامام البخاری، الأدب المفرد، دارالصديق، المملكة العربية السعودية، باب: 144، ح: 308

19- آل عمران: 159

20- الميزان فی تفسيرالقرآن، ج: 4، ص: 57

21- العلامة المجلسيی، محمد باقر بن محمد تقی، بحارالانوار، داراحياء التراث العربيی، ج: 16، ص: 199

22- الانعام: 50

23- الميزان فی تفسيرالقران، ج: 7، ص: 95-97

24- الفقيه المحقق الشيخ جعفر السبحانی، الموجزفی الاصول، ص: 37

25- الاعراف: 199

26- صحيح البخاری، ح: 6853

27- الطبرسی فضل بن حسن، مجمع البيان، ج: 4، ص: 787-788

28- التوبه: 61

29۔ مجمع البیان، ج:5، ص:68۔69

30۔ التوبہ:61

31۔ النحل:127

32۔ مجمع البیان، ج:6، ص:605۔606

33۔ الکھف:6

34۔ مجمع البیان۔ ج:6، ص:694

35۔ المیزان فی تفسیر القرآن۔ ج:15، ص:257

36۔ الکھف:22۔24

37۔ المیزان فی تفسیر القرآن۔ ج:13، ص:289

38۔ المیزان فی تفسیر القرآن۔ ج:13، ص:289۔290

39۔ صحیح البخاری، محمد بن اسماعیل۔ کتاب صلوۃ، باب المساجد فی البیوت، ح:425

40۔ الکھف:69

41۔ الصافات:102

42۔ طہ:1۔3

43۔ الامام ابن کثیر، اسماعیل بن کثیر۔ تفسیر القرآن العظیم۔ دار الغد الجدید، قاھرہ ط ا۔ 1431ھ ج:3، ص:131

44۔ طہ:130۔132

45۔ المیزان فی تفسیر ان۔ ج14، ص254، 259، مجمع البیان: ج:7، ص:57

46۔ الشعراء: 214۔220

47۔ المیزان فی تفسیر القرآن۔ ج:15، ص:358۔359

48۔ المیزان فی تفسیر القرآن ج:15، ص:259

49۔ الانبیاء:107

50۔ التوبہ:128

51۔ النمل:70

52۔ فاطر:8

53۔ الکھف:6

54۔ الامام ابوداود، سلیمان بن الاشعث، السنن، دار السلام، الریاض: کتاب الفتن والملاحم۔ ح:4278

55۔ القلم:4

56۔ سید قطب: فی ظلال القرآن، دار إحیاء التراث العربی، بیروت، ط:5، ج:8، ص:220–232